المرأة والشغل

تظل تشتغل حتى تزوج من النمب . واذا رأت نفسها عاجزة تتأفف . لا تمكث في السرير سوى مدة الالم . ولا تلازمه الا في اشد حالات الضعف .

وهي سيدة مريضة لانوعما الداء عشرين سنة فضيق خلقها وصغر نفسها وكاد يورثها اليأس على انها بالفطرة واسعة الصدر كبيرة النفس انما هي ضعيفة البنية عصبية المزاج عداء عن انه لم تستلب لها اسباب الراحة كلها مع كونها غنية ومن اسرة كريمة ولا نابتها الاحوال المحيطة بها اخصها الروحية . عندها ولدان فقط وهما شابان . وفي بيتها طاهٍ واعشي او خادمتين . والبيت صغير لا يحتاج تدبيره الى شغل كثير

ومع كل ذلك هي تشتغل دائما ولا تصرف ساعة بلا شغل . وشغلها مجرد لنفسه لا لما يعوزها منه بل انما هو في محله ولا يذهب منه شيئاً جزافاً او بلا جدوى . لا تبالي من نفسها دافعاً قوياً له ورغبة شديدة فيه وطامن حكمتها واصالة رأيها ما يحملها على ترتيب اشغالها وجعلها مفيدة وضرورية ولو كانت هي ذاتها بغنى عنها .

عرفت هذه السيدة جيداً وعاشرتها كثيراً وطالما تساءلت عما يدفعها الى الاجتهاد . وهي رتبة اليسر والوجاهة . ولم اعثر الى الجواب اجلوب به نفسي مبدأ الشغل هو الذي ينشط هذه السيدة على الشغل . والمبدأ قوة عظيمة في النفس تفعل عجائب . وهذا سر ما نراه من الفرق بين المنازل

فلو تعودت كل سيدة ان تجعل الشغل مبدأ لها لخفت عليها وطأة التعب وقويت على عمل كل شيء . ومن لم تتعود ولا تستطيع ان تعتاد . فلا اقل من ان تعود بناتها الشغل . والشغل واجب

الرصيف

خطاب للشيخ احمد الفاخري في حفلة جمعية عرف القراءة الوطنية في بحمدون في الصيف الماضي

ان مساء زاهياً كالصبح في نيسان واجتماعاً بهياً كالروض في الربيع . ومكاناً مقدساً لعبادة الطبيعة عجيبة خير البشر امور تجب الي ان احدثكم عن مكان فيه عبدت الله مرات عديدة وفيه تمثلت كثيراً من شؤون الناس . منه اشرفت على مناظر طبيعية بديعة ومنه اكتسبت معاني سامية واستمديت وحياً سماوياً .

عفواً ايها المتدينون لا تتسرعوا في الحكم عليّ ولا تتوهموا الكفر في ما اقول . فان باب الوحي لا يزال مفتوحاً وكل فكر سام لا محالة مورده السما .

والمكان الذي احدثكم عنه باسمه قريب منكم بعيد عنكم . تزورونه في كل حين وقلما تذهبون اليه لو تفكرون فيه . فاتهموني بافكاركم ولا تخفن يا سيدات فالمسافة قريبة ولا مشقة في الطريق وها نحن الآن في سفح الجبل موضوع هذا الحديث .

الى الشرق الجنوبي منا الآن جبل ممتد شرقاً فغرباً يدعى الرصيف . هو اعلى قمة في بحمدون . الى هذا الجبل اصاعد تجديثي . فرافقوني لتبتعد عن ضوضى البلد ونطلق للنفس مجال التأمل والدرس . ولا تستقلوا مرافقتي فانني لا احدثكم عنه جغرافياً ولا جيولوجياً ولا احدثكم احجاره واحلل تربته وافيس ارتفاعه . كلا بل احدثكم عن معان تمثلتها فيه ومنه لعل فيها عبرة ومنها ذكرى

الى الرصيف الى ذلك المعقل المرتفع كنت اذهب في الصباح الباكر استقبل الشمس من نحو صوفر واتمثل بشروقها وبثها الحرارة في الارض مخلصة العلم وبثه النور في النفوس واتأمل مما يمنع المصيفين من النهوض مبكرة مثل هذا الحين . كنت امكث وحدي ساعات اتأمل في الخليقة والخالق . فاستجلي معاني الطبيعة وامعن الفكر في اسرار الكون ونواميس الاجتماع . واربح

النفس من عناء العالم ومتاعب الاشغال . فاشعر بلذة عظيمة لا يراها المرء في القهوة ولا في المدينة

ولطالما صليت الى اله الطبيعة الى مهندس الكون الاعظم الى الله الآب الى الواحد الاحد الى علة العلل ومكوّن الاكوان ولطالما كنت ارى النفس تمتلئ من الروح الالهية اكثر منها في غير مكان . واراها تقترب من الله كثيراً اذ تتخذ العقل كاهناً لها والعقل اعرف بعواطف القلب المرافق له في جسد واحد

وكان اخضرار الكرم الغضّ اليانع يمثل لي مهابة النضارة في العافية ولن جمال الصحة فوق كل جمال . وتغطية الاوراق للثمر اتمثله كالأم الحنون تحضن ابناءها بنفسها ولا تتكل على مرضع او خادمة . وارى في امالة الهواء الورق عن العنب ليتعرض للشمس حكمة بالغة يجب على الوالدين اقتباسها وتعريض ابنائهم للذكاء . ويريني تورد العنب مثالاً اكيداً لقوة الشمس على توريد الخدود فلتمنى لو تتعلم تلك المحجّبات عن نورها في البيوت . واتذكر تورّد خدود القرويات وعدم اهتمام المدنيات باللون الطبيعي وعدم تطلبه من حيث يمكن الحصول عليه بدلاً من الصناعي . وكان تجمع حبات العنب في العنقود الواحد يمثل لي جمال الاجتماع وامكان الاتفاق وقوة الاتحاد . وكنت افكر في عصيره واختماره وكم له من الضحايا العديدة

كنت استصعب تسلق الجبل قبل بلوغ قمته وكان استصعابي لذلك مؤخراً لي عن تسلقه . شأن كل شيء قبل الاقدام عليه

ولكني لما اقدمت وبلغت القمة لم اعد اره صعباً بتة لانني اتركته وهكذا كل من سار على الدرب وصل وكلما اراده الانسان يدركه ان بدأ به . وكثير من الناس يتمنون اقتباس فنّ من الفنون الجميلة او اتيان عمل من الاعمال العظيمة

واذ يستصعبون الاقدام على ما يتغون بفوتهم ما يتمونه وهم لو اقدموا لقاروا ان ساعدتهم الاحوال

كنت اتعب بالتصعيد ولما اجلس على قمة الجبل انسى التعب وارى الراحة نتيجة له وانها لولاه لما كانت بل ايضاً لما سرت واعالمًا قلت يا جبذا لو اهتم جميع الوالدين بتربية الاولاد على الرضى بالتعب وتفهيمهم انه سر الحياة وانما محفوفون للتعب وبمقدار اتعابنا يكون مبلغ فوزنا في العالم

وهنالك اطلال عمران قديم كانت تمثل لي تقلب الايام وتريني تغير اشكال المادة باجلى بيان فيرى عني عدم الاهتمام بالمستقبل وارى مصير المنهالين المتوا كابن الى الخراب

كنت اشرف على قرى المتن واحراجه واقابل بين اخضرارها وجرد جبال الشوف وكسروان فينضح لي الفرق بين الاجتهاد والكسل وبين الاستعداد وغير الاستعداد

كلما ارتفع الى القمة تزداد المناظر اتساعاً امام عيني كالمطالع كلما ازداد مطالعة توسعت معارفه. ولما اراني بلغت اعلى الجبل وبنفسي مرام اتمنى لو تبلغ اليها عيناي ارى كل علو يقصر عن اعلى وتأكد ان فوق كل ذي علم عليم

الى البحر كانت تمتد مقلتاي فاتمثل من فيه من الذاهبين والآيبين وهم بين باك للفراق ومستبشر باللقاء . بين سعيد وبائس

لاحظت القطار منسابًا في بطن الوادي وفكرت في مخترعيه ومنشئيه فاتضح لي الفرق بيننا وبينهم ونحن لا نخترع شيئاً حتى ولا في شاغر الجمل او جلال البغل

تأملت في عمل ذلك الهواء الحار الذي هب شرقياً من نحو شهر كيف يبس العنب وعرّى الاغصان من الورق وشبهته بفعل لمحات الجهل وتبييسها اثمار العقل الكامنة في الرؤوس الكبيرة وتعريتها الذكاء من الذوق والتفنن

رأيت مرة حبة كبيرة . ناظرة الثلاثة انواع طولاً تنساب بين كرمة احجار

وقفت على بعضها فلم اخف منها حين كنت اراها ولكنها لم توارث عني صرت اخشاها وما ذلك الا لاني صرت اجهل من اي مكان ستخرج أمن بين رجلي؟ أمن ورائي أم من امامي؟

وكثيراً ما تمنيت لو ان المجمدونيين يهتمون بجعل الرصيف متنزهاً عمومياً يسهلون سبيل الوصول اليه بطريق مناسبة

ومع كل ذلك ما فاتني شيء من مناجاة الارواح على ما تحب وهل افضل من عزلة لا يؤنسها غير تغريد العصافير وصدى حفيف اوراق الكرم يغنم المعتزل فيها الفرصة لمناجي ارواح احبابه ويرتوي من سلسبيل الطبيعة المنعش . انها لعزلة جميلة تجلى فيها الروح على المادة فترتفع النفس الى اسمى السموات

ولطالما تمنيت لو ارى شجرة تظلني من حرّ الشمس بدلاً من القبعة تمني اليتيم لانسان يتبناه

فتعرون من كل هذه الافكار كيف ان الانسان يستطيع الاستفادة حتى من الجماد . فكيف به من الانسان . وان صفحات الطبيعة التي هي كتاب الله مفيدة لمطالعها كصفحات الكتب مؤلفات الناس . ولكن بما ان الاحوال لا تمكن كلّ امرئ من الاعتزال في كل وقت لدرس في الطبيعة بل هي كثيراً ما تضيقه وتمنعه قسراً عن ذلك وبما ان الانسان لا يستحيل عليه استطلاع اراء الانسان ان محادثةً وان مطالعةً وبما ان هذه ميسرة لديه في كل حين فليعتمد عليها اذاً وهي خير رفيق وافضل انيس

وما احرانا ايها السادة والسيدات ان نثني بلسان واحد على همة هذه الجمعية مؤسسة غرف القراءة . وان نمد الى مشروعها يد المساعدة . لانها جديرة بها